مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

الصراع الإسباني العثماني على تونس
941-982هـ/1534-1574م

الدكتورة إلهام يوسف*
ولاء علي صقر**

(تاريخ الإيداع 12 / 7 / 2018. قبل للنشر في 22 / 10 / 2018)

□ ملخّص □

يعالج هذا البحث طبيعة الصراع الإسباني العثماني على موقع تونس الاستراتيجي الذي تبادل الطرفان احتلاله أكثر من مرة، إذ أنه نتيجة لضعف الدولة الحفصية وعجزها عن الدفاع عن البلاد ومواجهة الأطماع الخارجية واستعانتها بالإسبان، كان من الطبيعي أن تتجه الدولة العثمانية لضم تونس إلى ممتلكاتها، الأمر الذي لم يقبله الامبراطور الإسباني شارلكان ، مما أدى إلى دخول البلاد في صراع إسباني عثماني يمكن التعرف عليه من خلال دراسة أسبابه، و تتبع مراحله التي تجلت باحتلال خير الدين بربروس لتونس عام 941هـ/ 1534م، ومن ثم قيام حملة شارلكان عام942هـ/ 1535م، ومعركة ليبانتو عام979هـ/ 1571م اللتان حولتا تونس إلى شبه مستعمرة إسبانية، لينتهي هذا الصراع عام982هـ/ 1574م بإلحاق تونس بالدولة العثمانية وإنهاء الحكم الحفصي وإضعاف شوكة الإسبان ومركزهم في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الصراع –الإسبان–العثمانيين– تونس– شارلكان– الدولة الحفصية.

* أستاذ دكتور، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية
** طالبة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

The Spanish-Ottoman conflict over Tunisia 941-982 AH/ 1534-1574 AD

Dr.Elham Youssef*
Walaa Ali Saker**

(Received 12 / 7 / 2018. Accepted 22 / 10 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research deals with the nature of the Spanish-Ottoman conflict on the strategic Tunisia, whose two sides exchanged its occupation more than once,As a result of weakness of the Hafsid state and inabilitly to protect the country and to confront foreign ambitions and its use in Spain, it was natural that the Ottoman state to annex Tunisia to its property,which was not accepted by the Spanish Emperor Charlecan , Which led to the entry into the Spanish conflict can be identified by studying the causes, and follow the stages demonstrated by the occupation of Khairuddin Barbaross to Tunisia941/ 1534, and then the campaign of Charlecan 942/1535, and the battle of Lepanto 979 / 1571, which turned Tunisia into a semi-colony of Spain, ending this conflict in 982/1574 by attaching Tunisia to the Ottoman Empire and ending the rule of Hafs and weakening the Spaniards and their status in the region.

Key words: Conflict - Spanish – Ottomans-Tunisia-Charlecan-Hafsid.

***Professor. Dr , Departmet of History, Faculty of Arts and Humanities Tishreen University, Syria, Lattakia**
**** Ph.D. Student, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia., Syria,**

مقدمة:

تركز الصراع الإسباني العثماني منذ القرن السادس عشر على الشمال الأفريقي عامة، وتونس خاصةً، لاسيما بعد ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية التي أصبح حكامها ينفذون سياسة الدولة العثمانية في الشمال الأفريقي باعتبارها أصبحت ولاية عثمانية، وقد امتد هذا الصراع الذي يعتبر امتداداً للحروب الصليبية إلى البحر الأبيض المتوسط لأهميته في التجارة العالمية ، حيث اتجهت اسبانيا بأنظارها إلى تونس مستغلة حالة التفكك والضعف التي أصابتها محاولة السيطرة عليها لضمان أمن شواطئها ومواصلاتها البحرية، إذ كانت ترى أن سقوط تونس بيد العثمانيين من شأنه أن يهدد ممتلكاتها في صقلية ونابولي ومالطة، كما كانت تهدف إلى عزل تونس عن باقي الدول الأفريقية والأوروبية بهدف خنقها اقتصادياً وخلق فوضى اجتماعية بهدف السيطرة عليها، لكنها اصطدمت بأهداف الدولة العثمانية التوسعية التي سعت لضم تونس إلى ممتلكاتها في إطار استكمال سياستها الرامية إلى توحيد الشمال الأفريقي تحت سلطة الدولة العثمانية، وذلك لترسيخ وجودها في الشمال الأفريقي، وقد شجعها على ذلك لجوء أحد المطالبين بعرش الحفصيين إليها لاستعادة عرشه ، أما على صعيد تونس فإن ضعف الدولة الحفصية نتيجة الصراع بين الأمراء الحفصيين على العرش، واستنجاد بعضهم بالأتراك والبعض الآخر بالإسبان ، قد أتاح المجال لكلا الطرفين لاتخاذها ذريعة لتثبيت أقدامهم في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى دخول البلاد في صراع إسباني عثماني استمر قرابة أربعين سنةً دمرت فيها البلاد وسادت الفوضى وانهار المجتمع فوجد التونسيين أنفسهم تائهين بين القوى المتصارعة على تونس، إلى أن تمكنت الدولة العثمانية عام 982هـ/ 1574م من تحرير تونس وضمها إلى ممتلكاتها.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث وأهدافه في توضيح طبيعة الصراع الإسباني العثماني على تونس من خلال معرفة أسباب ونتائج هذا الصراع الذي قسم إلى عدة مراحل تجلت بحملة خير الدين بربروس –ممثل الدولة العثمانية –على تونس عام941هـ/ 1534م، ثم قيام حملة شارلكان عام 942هـ/ 1535م كرد فعل على قيام خير الدين بربروس بفتح تونس وضمها إلى الدولة العثمانية، لتأتي بعد ذلك معركة ليبانتو الحاسمة التي شكلت ضربة قوية للأسطول العثماني ومكانته في البحر المتوسط، لكن الدولة العثمانية تمكنت في النهاية من إثبات تفوقها وضم تونس إليها ضمن نطاق مشروعها في توحيد الشمال الإفريقي تحت سلطانها.

منهجية البحث:

تقوم منهجية البحث على اعتماد المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية التاريخية التي تتعلق بموضوع البحث من المصادر والمراجع ودراستها وتحليلها، والمقارنة بينها بما يخدم البحث التاريخي، واستخلاص الأفكار المناسبة في محاولة للوصول إلى نتائج مقاربة للحقيقة التاريخية.

النتائج والمناقشة:

أولاً: أسباب الصراع الإسباني العثماني على تونس:

تأثرت العلاقات الإسبانية العثمانية التونسية بمجموعة من الظروف، حيث أن تونس التي كانت تحكمها الأسرة الحفصية الضعيفة لجأت إلى طلب المساعدة من الإسبان حفاظاً على عدم خضوع تونس للعثمانيين، مما أدى إلى تدخل العثمانيين كرد فعل على التدخل الإسباني من جهة، ولتحقيق هدفهم في توحيد الشمال الأفريقي تحت سلطتهم من جهة أخرى ، وخاصة بعد أن ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، وأصبحت قاعدة لضرب المشروع الإسباني، لكن الإسبان رفضوا هذا الوضع وحاولوا تغيره لصالحهم، فدخل الطرفان في صراع طويل على تونس تجلت أسبابه بما يلي:

1-الأسباب الخارجية:

-السعي للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط لأهميته في التجارة العالمية.

-فشل إسبانيا في السيطرة على الجزائر، فاتجهت بأنظارها إلى تونس، حيث كانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها إسبانيا تخشى من توحيد الشمال الأفريقي تحت سلطة الدولة العثمانية [1].

-إدراك الطرفين لأهمية موقع تونس الاستراتيجي، إذ تتوسط تونس بموقعها الجزائر وطرابلس [2]، إضافة لإشرافها على المضيق الصقلي مما يسمح لها بتهديد أو قطع طريق المواصلات بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي [3]

- السعي لإقامة قاعدة بحرية كنقطة انطلاق لاحتلال الشمال الأفريقي عامةً وتونس خاصةً. [4]

2-الأسباب الداخلية:

-ضعف الأسرة الحفصية واستنجادها بالإسبان، مما أدى إلى مما أدى إلى ظهور الدولة العثمانية ممثلة(بالأخوة بربروس وقلج علي) كقوة بحرية قوية رداً على التدخل الإسباني[5].

-اضطراب البلاد التونسية وتجزؤها نتيجة إهمال حكامها الحفصيين وسوء إدارتهم[6].

-كره الحفصيين لحكامهم خاصة بعد قبولهم معاهدة الحماية التي فرضها عليهم شارلكان ، فكان نتيجتها هلاك الكثيرين منهم وضياع هيبة البلاد ومكانتها[7].

ثانياً: مراحل الصراع الإسباني العثماني على تونس:

استغل الإسبان ضعف الدولة الحفصية التي كانت تعاني من الانحطاط، حتى أنها أصبحت عاجزة عن مواجهة الأطماع الإسبانية نتيجة الصراع على العرش بين أمرائها، حيث كان قد تولى عرش الدولة الحفصية الملك الحفصي الحسن بن محمد بعد وفاة والده أبو عبد الله محمد الخامس(900-933هـ/1494-1526م) ، و لكنه كان سيء السيرة

---

[1] **الشافعي، درويش. *علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي*. رسالة ماجستير، الجزائر: معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،2010-2011م، ص11**

[2] **عاطف عيد، حليم ميشال حداد. *قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم (تونس – الجزائر)*، (القسم الاول Edito Greps ., INT.1998-1999)P.7**

[3] **محمد خير فارس، *تاريخ الجزائر الحديث (الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)*، د.م ، د. ت،ص33**

[4] **عمار بن خروف. *العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517-1659م)*، رسالة ماجستير (دمشق: جامعة دمشق، 1983م) ص20.**

[5] **محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1981-1982م)، ص106-107**

[6] **عمار بن خروف. *العلاقات بين الجزائر والمغرب*، ص33**

[7] **صلاح العقاد. *المغرب العربي في بداية العصور الحديثة*، (معهد الدراسات العربية العالمية، ط2، 1962-1963م)، ص51**

مهملاً لأمور ملكه منشغلاً بإشباع ملذاته، ونتيجة لذلك اضطربت أحوال تونس و خرجت بعض المدن عن طاعته كالقيروان، و خاصة بعد أن أقدم على الاستعانة بالإسبان و إعدام إخوته و أخواته ، إذ لم ينج منهم سوى عبد المؤمن، وأخاه الرشيد الذي استطاع الهروب من أخيه الحسن بن محمد خوفاً من قتله[1]طالباً مساعدة الدولة العثمانية عند ذلك استدعى السلطان العثماني خير الدين بربروس[2] الذي خلف أخاه عروج في حكم الجزائر، وكلفه بإعداد حملة لفتح تونس واسترجاعها من أيدي الإسبان، عندئذٍ دخلت البلاد في صراع إسباني عثماني تجلت مراحله بما يلي:

1-حملة خير الدين بربروس على تونس 941هـ/1534م:

أدرك السلطان العثماني سليمان القانوني[3] حقيقة الوضع في تونس، حيث أوشك الملك الإسباني على الاستيلاء عليها ليستخدمها مع طرابلس الغرب[4] في محاولة منه لضرب الدول الإسلامية، عندئذٍ أمر خير الدين بربروس بالتوجه إلى تونس في محاولة من السلطات العثمانية لتوسيع أملاكها في الشمال الأفريقي، وتحقيق هدفها باسترداد الأندلس[5]، وتأديب الحفصيين الذين تآمروا مع الإسبان و المتمردين الثائرين على الدولة العثمانية.

كما تنبه خير الدين بربروس في ذلك الوقت لخطورة اهتمام شارلكان[6] و ابنه فيليب بموقع تونس الاستراتيجي ، مما دفعه لاحتلالها خشية قيام الإسبان باحتلالها قبله، إذ كان هذا الاحتلال من شأنه أن يؤدي إلى عزل الجزائر من قبل إسبانيا، و إغلاق غربي البحر الأبيض المتوسط في وجه الأسطول العثماني، فيسهل السيطرة عليها بحراً و براً [7].

وفي عام 941هـ/ 1534م تحرك خير الدين بأسطوله إلى سواحل تونس متظاهراً باتجاهه إلى إيطاليا لكنه فاجأ الحفصيين بذلك[8]، حيث وصل الأسطول الجزائري العثماني بقيادة خير الدين إلى عنابة[9] للاتفاق مع القوات الداعمة

---

[1] جون ب وولف. *الجزائر وأوروبا*، تر: أبو القاسم سعد الله، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1996م) ص 46

[2] اسمه الأصلي خضر في حين يرد في مصادر أخرى باسم خسرف، وقد اقترح فضلاء المغاربة والأندلسيين على خسرف أن يغيروا اسمه، فأطلقوا عليه اسم (خير الدين) أي هدية الله الذي اختارته العناية الإلهية للقيام بدور بطولي.

أحمد توفيق المدني. *حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م* (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت) ص158

[3] سليمان الثاني (القانوني أو الكبير)(1495-1566م) سليمان بن سليم الأول ، ولد عام 1495م ، بلغت في عهده الإمبراطورية أوجها، فتح بلغراد وورودس وهزم القوات الهنغارية في معركة موهاج.

منير البعلبكي. *معجم أعلام المورد* (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1992م) ص242. أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الملقب بابن القاضي. *درة الحجال في أسماء الرجال* (القاهرة: مكتبة التراث، د.ت) ص 311

[4] طرابلس الغرب: سميت في العهد التركي بطرابلس الغرب لأن الترك كانوا يحتلون طرابلس الشام، فاضطروا إلى أن يضيفوها إلى الغرب تمييزاً بين البلدين، أما قبل العهد التركي فكانت تسمى طرابلس بدون إضافتها إلى الغرب.

الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي. *معجم البلدان الليبي* (طرابلس: مكتبة النور، ط1، 1968م) ص 28.

[5] صلاح العقاد. *المغرب العربي في بداية العصور الحديثة*،ص43

[6] شارلكان(شارل الخامس) ألماني الأصل، ابن فيليب الثاني ابن مكسيمليان الأول(امبراطور الإمبراطورية الهابسبورغية) أمه جوليان إسبانية الأصل، تولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك فرديناند 1516م، وأصبح عام 1519م على رأس أكبر امبراطورية في العالم، قضى عهده في محاربة أعدائه إلى أن توفي عام 1558م، وخلفه على العرش ابنه فيليب الثاني.

جودت أحمد باشا. *تاريخ جودت*، 12جزء (إستانبول،1317هـ، ج8) ص237.

[7] عقيل لطف الله نمير. *تاريخ الجزائر الحديث*، ص36

[8] حلمي محروس إسماعيل. *تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى* (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،1997م) ص 27.

[9] عنابة (بونة): هي من المدن الجزائرية المهمة تقع شمال شرق الجزائر على ساحل البحر المتوسط وعندما فتحها المسلمون عام 697م 697م سموها عنابة نسبة إلى أشجار العنب.

له هناك والتزود ببعض الإمدادات، ومن ثم قام بتقسيم جيشه إلى قسمين : قسم مكون من ثمانية آلاف من مشاة البحرية اتجه براً إلى بنزرت[1]، و قسم آخر عدده مئة وأربع قطعة بحرية اتجه بحراً إلى حلق الوادي[2]، فتمكن منهما دون صعوبة، ثم دخل مدينة تونس التي فتحت له أبوابها دون مقاومة و خرج سكانها من علماء وخطباء وغيرهم لاستقباله وتكريمه، و يعود السبب في ذلك إلى كراهية الشعب للسلطان الحفصي معبرين عن تطلعاتهم و آمالهم بتنصيب الرشيد الذي أمل باستيلائه على عرش السلطة بدلاً من أخيه الحسن[3] لكن خير الدين خيب آمالهم بإعلانه ضم البلاد للأملاك العثمانية، لينهي بذلك الحكم الحفصي ويعلن تبعية تونس للدولة العثمانية في هذا الوقت بدت الدولة العثمانية سيدة حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي[4].

أبحر خير الدين بعد ذلك متوجهاً إلى جزيرة ميورقة[5] ، فقام بعدة غارات على السواحل الإسبانية، و استولى خلالها على مرسى ماهون، ثم عاد إلى تونس لتنظيم أمور البلاد على غرار ما فعل بالجزائر بعد أن نجح باحتلال بنزرت و حلق الوادي و القيروان، فجمع حوله عدد من مثيري الفتن و الفوضى وحدهم في جيش لمقاومة الاحتلال الإسباني، كما حذر الأعراب من سوء الفتنة في الإسلام و دعاهم للانضمام إليه، فأجابوه لذلك بشرط أن يبقي على ما بأيديهم من إقطاعيات وبالمقابل اشترط عليهم أن يكون مشتاهم بالصحراء، كما أرسل لنائبه بالجزائر حسن آغا يطلب منه إرسال أربعمائة فارس كلفهم بالإشراف على تسيير شؤون الشعب بمختلف الأقاليم التونسية[6].

كان الوضع بالنسبة لإسبانيا ملائماً للقيام برد فعل للانتقام من الهزائم السابقة التي نالت من هيبة الامبراطورية، حيث شكل احتلال تونس من قبل خير الدين تهديداً مباشراً لإسبانيا ومستعمراتها [7] في صقلية [8] وإيطاليا ، فكان الرد الإسباني سريعاً إذ تجلى بحملة شارلكان عام942هـ/ 1535م.

نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، ورابحة محمد خضير." البحار العثماني محيي بيري ريس حياته وجهاده البحري (1465-1554م)". *مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل*. مج /16/، العدد الرابع. (2009م) ص 86

[1] بنزرت: مدينة على البحر بينها و بين تونس نحو يومين، لها نهر كبير يصب في البحر،و بالقرب منها بحيرة كبيرة تنسب إلى بنزرت يدخل إليها ماء البحر.

مؤلف مجهول. *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة و المدينة و مصر و بلاد المغرب)*، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد الدار (البيضاء: دار النشر العربية، 1958م) ص 125.

[2] حلق الوادي: ميناء تونس العاصمة الواقعة في مدخل الممر المؤدي إلى المرسى.

سعيد أحمد برجاوي. *الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري* (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع ،1993م) ص116.

[3] محمد المطوي العروسي. *السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي* (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت) ص 685. انظر أيضاً: عقيل لطف الله نمير. *تاريخ الجزائر الحديث*، ص63

[4] أحمد زكريا الشلق. *العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516-1916م* (مصر: العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2002م) ص40

[5] ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة.

ياقوت الحموي. *معجم البلدان*، 5 أجزاء (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت، ج5) ص246

[6] كليل صالح. *سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط*، رسالة ماجستير(الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006-2007م) ص 139

[7] محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، ص116. انظر أيضاً محمد المطوي العروسي. السلطنة الحفصية، ص697.

[8] صقلية: أكبر جزيرة في البحر المتوسط حكمها المسلمون عدة قرون في أيام دولة بني الأغلب والفاطميين بتونس.

علي حسون. *تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية* (المكتب الإسلامي، ط3، 1994م) ص70

2-حملة شارلكان على تونس 942هـ/1535م :

لم يكتف شارلكان بالهجوم المفاجئ على سواحل الجزائر، بل وتذكر الوثائق الإسبانية أن شارلكان قد أرسل عام942هـ/1533م، أحد جواسيسه وهو الضابط (أوشو دوسلا) للاطلاع على أحوال تونس، وهناك اتفق مع الحفصيين على التعاون مع الامبراطور شارلكان، كما وصلته معلومات تشير إلى استعدادات تركية للقيام بعمل ضد صقلية، وذلك بتأييد من فرنسا عدوة إسبانيا وحليفة الدولة العثمانية[1].

ويذكر بعض المؤرخين أن أهم الأسباب التي دفعت شارلكان للقيام بحملته على تونس هو إصرار البابوية عليه للقيام بذلك، إذ شكل احتلال تونس خطراً عليها وعلى الأمراء الإيطاليين وإسبانيا[2] التي اعتبرت احتلال خير الدين لتونس انتصاراً عثمانياً عليها، لذلك أعلن شارلكان حربه على الدولة العثمانية وتحرك بقواته لانتزاعها[3].

أ-الظروف الدولية التي ساهمت في احتلال إسبانيا لتونس:

كانت الظروف الدولية ملائمة لقيام شارلكان بحملته على تونس وهي كما يلي:

1-انشغال السلطان سليمان القانوني بصراعه مع الفرس والمجر، كما أنه لم يكن لدى السلطان الامكانات الكافية لمد خير الدين الجنود، والمساعدات اللازمة لمواجهة الجيش المسيحي [4].

2-ضعف موقف خير الدين في تونس بسبب تفضيل الأهالي حكم بني حفص على حكم العثمانيين.

3-تشجيع البابا لشارلكان بالزحف على تونس، موضحاً له أن وجود العثمانيين بتونس يشكل خطراً كبيراً على العالم المسيحي عامةً وإسبانيا خاصةً[5].

4- الوعد الذي منحه ملك فرنسا فرانسوا الأول[6] حليف الدولة العثمانية لشارلكان بالتزام الحياد، و عدم التدخل في صراعه مع الدولة العثمانية، و خاصة بعد شعوره بالعزلة في حوض البحر الأبيض المتوسط نتيجة تحول القائد أندريا دوريا[7] الذي عمل لمدة ست سنوات في خدمة المصالح الفرنسية إلى إسبانيا مما ألحق أضراراً كبيرة بالفرنسيين، إضافة إلى انضمام العديد من الإمارات الإيطالية إلى خصوم فرنسا[8]، كما أن تحالف شارلكان مع جنوة أكسبه فوائد عديدة

---

[1] صلاح العقاد. *المغرب العربي في بداية العصور الحديثة*، ص42

[2] محمود علي عامر. *تاريخ المغرب العربي الحديث(ليبيا)* (دمشق: مطبعة الاتحاد، 1986-1987م) ص23

[3] Sander Rang et Ferdinand Denis. *Fondation de la Régence d'Alger- Historie des Barberousse* (Paris 1837). Tomell.P322-323

[4] جون ب وولف. تاريخ الجزائر وأوربا، ص 48. انظر أيضاً محمد المطوي العروسي. *السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي*، ص 698

[5] عامر، محمود علي، *تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر -تونس)*، منشورات جامعة دمشق، 2008-2009م، ص43

[6] فرانسوا الأول: ملك فرنسا(1515-1547م) أمضى الفترة الأكبر من حكمه في محاولة الاستيلاء على إيطاليا و مناوأة الامبراطور شارل شارل الخامس، لكنه أسر في معركة بافيا عام 1525م، شجع الفنون وأحدث تغييرات جذرية في بنية بلاده الاقتصادية والاجتماعية، فبلغت النهضة الفرنسية أوج ازدهارها في عهده. منير البعلبكي. *معجم أعلام المورد*، ص317-318.

[7] أندريا دوريا: أميرال بحري ولد سنة 1498م في جنوة، عمل في شبابه حارساً لدى البابا، وعندما بلغ الأربعين من عمره التحق بالبحرية بالبحرية فأصبح قائداً للأسطول الجنوي سنة 1513م، وعنما ضايقه أعدائه قرر الالتحاق بالأسطول الفرنسي، لينضم بعد ذلك لشارلكان الذي أسند إليه قيادة الأسطول وأصبح بعد ذلك أهم أمير بحري إسباني في البحر المتوسط. عزيز سامح التر. *الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية*، تر: محمود علي عامر(بيروت: دار النهضة المصرية، ط1، 1989م) ص94

[8] جلال يحيى، *تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة* (دار المعارف،1982م) ص 92.

منها: إغلاق الشواطئ الإيطالية بوجه الفرنسيين و فتح الممر بين إسبانيا و ألمانيا، كما أشاع في إيطاليا شعوراً كبيراً بالانتصارات[1].

تردد شارلكان في اختيار المكان الذي سيوجه إليه ضربته في شمال افريقيا هل ستكون الجزائر أم تونس، و لكن استنجاد السلطان الحفصي الحسن بن محمد به، حسم الأمر أخيراً إذ وجد فيه أداة جيدة لتنفيذ مخططه ففضل ضرب تونس رغبة منه في عزل الجزائر عن استانبول، وإضعاف موقف العثمانيين في الشمال الأفريقي [2]، كما حاول إثارة ملك فرنسا و ثنيه عن تحالفه مع العثمانيين فأرسل رسالة يدعوه فيها للتحالف معه ضد الجزائر جاء فيها: "... إن كل الآلام سببها الأتراك في الجزائر .. لا تفرح كثيراً فإنهم بمجرد القضاء على إسبانيا سيكون مصيرك مثلي تماماً، يجب أن نوحد قوانا للقضاء على هذا الخطر..." لكن فرانسوا الأول ظل على حياده [3].

ب -انطلاق الحملة:

بعد أن توفرت الظروف المحلية والدولية لانطلاق الحملة، أعد شارلكان حملة كبيرة انطلقت من برشلونة[4] لاحتلال تونس مكونة من خمسة وعشرين ألف من الجنود المشاة وستمئة من الفرسان، وأسطول كبير مؤلف من أربعمئة سفينة شراعية وتسعين سفينة ملكية كبيرة [5].

وفي صيف942هـ/ 1535م وصلت الحملة إلى سواحل مدينة تونس، فحاول خير الدين التصدي لها ولكن إمكاناته كانت ضعيفة فهو لا يملك القوة الكافية لصد هذه الحملة الضخمة، لذلك كان النصر حليف الإسبان الذين تمكنوا من السيطرة على حلق الوادي مفتاح مدينة تونس وتنصيب الحسن بن محمد الحفصي عليها [6].

دخل السلطان الحفصي إلى تونس واعداً أهلها بالأمن والأمان والحفاظ على حياتهم وممتلكاتهم وأرواحهم[7]، ولكنه في حقيقة الأمر كان قد وقع اتفاقاً مع الإسبان سمح لهم باستباحة البلاد مدة ثلاثة أيام دون أن يعلم أحد بذلك، لذلك ما إن استأمن سكان المدينة على أرواحهم وخرجوا من معاقلهم منصرفين لممارسة أعمالهم حتى كانت المجزرة الرهيبة من قبل الإسبان الذين أخلوا باتفاقهم، وكانت نتيجتها إبادة ثلث أهالي تونس، بينما نجا ثلث، ووقع الثلث المتبقي في الأسر، إذ بلغت فدية الرجل الواحد ألف دينار.

لقد كانت هذه الكارثة من أقسى الكوارث التي تعرضت لها تونس وفي ذلك يقول ابن أبي الدينار:

---

[1] **فيشر هربرت. *أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية*، تر: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى(دار المعارف ، ط3 ، د.ت) ص145.**

[2] **روسي إتوري. *ليبيا منذ الفتح العربي إلى سنة 1911م*، تر: خليفة محمد التليسي(الدار العربية، ط2، 1991م) ص197. انظر أيضاً: أيضاً: محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، ص117.**

[3] **كليل صالح. *سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط*، ص142.**

[4] **برشلونة: تقع في شمال شرقي شبه جزيرة إسبانيا على شاطئ البحر المتوسط.**

محمد فريد بك المحامي. *تاريخ الدولة العثمانية*، تح: إحسان حقي (بيروت، دار النفائس، ط1، 1981م) ص223 .

[5] **صلاح العقاد. *المغرب العربي في بداية العصور الحديثة*، ص 51. انظر أيضاً: سعيد أحمد برجاوي. *الامبراطورية العثمانية*،ص 116**

[6] **بسام العسلي. *خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470-1547م)*، (بيروت: دار النفائس، د.ت) ص129 . انظر أيضاً: أحمد توفيق المدني. *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا*، ص 231 .**

[7] **عبد الجليل التميمي، حسام الدين شاشية." رسائل حفصية جديدة بأرشيف سيمانكس العام (1535-1536م)". *المجلة التاريخية المغربية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات*، تونس، العدد 157. (شباط 2015م)، ص 436-437.**

" و لما دخل الحسن إلى قصبته و اطمأنت الناس، و قعد كل صانع في صناعته و أهل الربع في ربعهم، و اطمأنوا في أماكنهم دهمهم عدو الدين فهجمت النصارى عليهم على حين غفلة في الأسواق و هي مفتوحة فأخذوا ما فيها من أمتعة و بضائع و قتلوا أهلها، و سبوا خلقاً كثيراً، و فر الناس بعيالهم ممن تمكن الهرب... فبعث عظيم النصارى إلى العرب و جعل لهم جعلاً... فخرجت العربان في طلبهم... و أتوا بهم إلى النصارى فكان طلب العرب لهم أصعب من طلب النصارى، و أخذوا ما شرطوا لهم و منهم من فدى نفسه من العرب و بلغت فدية الرجل الواحد ألف دينار، وهذه الواقعة سميت بوقعة الأربعاء"[1].

ولأجل ذلك وافق السلطان الحفصي على عقد معاهدة الخزي والعار مع شارلكان التي كانت لمصلحة الإسبان جملة وتفصيلا ومن شروطها:

1–الاعتراف بالحماية الإسبانية.

2–طرد كل القراصنة من موانئ تونس

3–إطلاق سراح الأسرى المسيحيين حيثما وجدوا في البلاد [2]

4–السماح باستيطان جميع المسيحيين في إقليم تونس، وحرية ممارسة طقوسهم الدينية دون معارضة.

5–تسليم المهدية وعنابة وجربة و قرقنة و بنزرت و حلق الوادي لإسبانيا لإقامة حاميات لهم، كما فرض على تونس دفع أتاوة سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكية (عملة اسبانية في ذلك الوقت)[3].

6–التزام السلطان بأن لا يدخل بلاده أي من المهاجرين الأندلسيين سواء أكانوا مسلمين أو يهود.

رفضت الأقاليم التونسية المعاهدة لأنها أسقطت هيبة حاكم البلاد الذي أصبح في نظر السكان رمزاً للخيانة، وحولت البلاد إلى شبه مستعمرة إسبانية، وبذلك فشل الحسن في فرض شرعيته كحاكم على البلاد[4] .

ج _ نتائج الحملة:

1–فرض الحماية الإسبانية على تونس، حيث أصبحت جميع موانئها تحت تصرف شارلكان الذي قتل من التونسيين الكثير

2– خسارة الدولة العثمانية لأحد مراكزها في غرب المتوسط ، فلم يعد بذلك للمسلمين معقل سوى مدينة الجزائر[5].

عاد الامبراطور شارلكان إلى إسبانيا فاستقبل استقبال الفاتحين وعمت الاحتفالات جميع أنحاء أوروبا، في الوقت الذي اتجه فيه السلطان العثماني إلى تبريز عاصمة الفرس، فاستولى على بغداد ثم اتجه إلى استانبول التي وصلها بداية943هـ/ 1536م[1].

---

[1] أبي عبد الله الشيخ بن أبي القاسم القيرواني الملقب بابن أبي الدينار. *المؤنس في أخبار افريقيا وتونس* (تونس: مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1268م) ص154–155.

[2] كليل صالح. *سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط*، ص54–55. بسام العسلي. *خير الدين بربروس والجهاد البحري*، ص 132

[3] عبد الكريم الفيلالي. *التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير*، 12جزء(القاهرة: شركة تاس للطباعة، ط1، 2006، ج3) ص268–269. محمد المطوي العروسي. *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*، ص 270

[4] الأرقش دلندة، الأرقش عبد الحميد بن طاهر جمال. *المغرب العربي الحديث من خلال مصادره* (مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، 2003م) ص54. انظر أيضاً: أحمد توفيق المدني، *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا*، ص234

[5] عقيل لطف الله نمير. تاريخ الجزائر الحديث، ص 62–63. انظر أيضاً: عبد الجليل التميمي. *رسائل حفصية*، ص 437–438.

3 -معركة ليبانتو 979هـ/1571 م:

مما لاشك فيه أن الدول الأوروبية كانت تخشى بشكل كبير من توحيد الشمال الأفريقي تحت سلطة الدولة العثمانية، لذلك بدأت الإعداد لمعركة حاسمة لمواجهة امتداد النفوذ العثماني في البحر المتوسط بعد إنهاء الحصار العثماني على مالطة[2] عام973هـ/1565م، ولم تكن وفاة السلطان العثماني سليمان القانوني عام974هـ/ 1566م لتوقف الزحف العثماني باتجاه أوروبا أو البحر المتوسط حيث كانت الدولة العثمانية تعتمد في مد نفوذها على الإيالات التابعة لها المطلة على البحر المتوسط ابتداءً من مصر إلى الجزائر، وقد سبق أن شاركت الجزائر كما أشرنا سابقاً في عهد خير الدين بربروس إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها ضد أعدائها، وقد شهدت الفترة نفسها ظهور شخصية قوية على رأس الكنيسة الكاثوليكية في روما(البابا بيوس الخامس)[3]، رافق ذلك هجوم العثمانيين على قبرص و ثورة مسلمي الأندلس، ونتيجة لذلك حدث تقارب بين إسبانيا و البندقية[4] وبالرغم من مساعي فرنسا لمنع قيام هذا الاتفاق بين إسبانيا والبندقية، لكنها أخفقت بمساعدة البابا الذي نجح في تذليل جميع الصعوبات، حيث تحالفت الدولتان وانضم إليهما البابا وعدد من الإمارات الإيطالية ضمن حلف مقدس نظمه البابا بيوس الخامس[5] بقيادة دون جوان[6] و تم الاتفاق على محاربة الدولة العثمانية و منع امتداد سلطانها إلى إيطاليا، فكان ذلك السبب المباشر لأهم معركة في تاريخ تونس.

ولما علم قلج علي[7] بكلربكي[1]بأن الأعداء قد اتحدوا مع بعضهم لشن هجوم مباغت وسريع على الأسطول العثماني، كما أنهم يخططون لتوجيه ضربة قوية لسائر القلاع التونسية، سارع لإخبار السلطان العثماني سليم الثاني بذلك [2]، الذي أرسل بدوره رسالة لجميع حكام المناطق يدعوهم فيها إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة[3].

---

[1] زياد حمد الصميدعي ، جمال الدين فالح الكيلاني. *تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث*(فاس: المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، 2013م) ص 70.

[2] مالطة: جزيرة مشهورة في بحر الروم، طولها 17 ميلاً وعرضها 9 أميال، تقع جنوب سيليا على بعد خمسين ميلاً عنها، كان اول من أستولى عليها الفينيقيون إلى أن وقعت تحت سيطرة أوجاق من العساكر تدعى، (كواليرماري يوحنا)، و أما الآن فهي تحت حكم الانكليز و عاصمتها و ميناها (فالاطا) .

سليمان بن خليل بن بطرس جاويش. *التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية*(مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)ص154-155

[3] عبد القادر فكاير. "دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م". *مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ*، الجزائر، المركز الجامعي خميس مليانة ،العدد 09 . (ديسمبر2014م)، ص415.

[4] محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، ص124

[5] محمد خير فاس، تاريخ الجزائر الحديث، ص49-50

[6] دون جوان: أمير إسباني ولكنه أخ غير شرعي لشارلكان ، ولد في مدينة راستبون 1545 م ، عينه فيليب الثاني قائداً في جيشه وأرسله للقضاء على ثورة الموريسكين سنة 1568 م ، فنجح في مهمته وعين قائداً للقوات المتحالفة التي واجهت العثمانيين، ثم حاكماً على هولندا ، توفي مسموماً سنة 1578

رحيمة بيشي. *العلاقات السياسية التونسية الاسبانية أواخر الدولة الحفصية 898هـ-982هـ/1494-1574م* . رسالة ماجستير(الجزائر : معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2011-2012م) ص135

[7] قلج علي: ولد فيCalabre جنوب إيطاليا، ولكنه وقع في الأسر في إحدى الغزوات التي قام بها خير الدين باشا على جنوب إيطاليا، وكان أثناء ذلك لا يزال فتياً، وعند اقتسام الغنائم كان من نصيب الريس علي أحمد، كان قلج علي مولعاً بركوب البحر و حب المغامرات منذ طفولته فعمل مجدفاً على إحدى السفن [7]إلا أنه تعرض لسخرية الكثير من أصدقائه من المجدفين المسيحيين و إهاناتهم بسبب صلعة في رأسه، و لقبوه (بالفرطاس) و كلمة قلج معناها السيف، و ليس كما يقول كثير من المؤرخين بأنه سمي بهذا الاسم بعد أسره.

ونتيجة لمشاركة الجزائر الفعالة القوات العثمانية في مواجهة الأخطار المسيحية، أرسل السلطان العثماني إلى قلج علي يأمره بالاستعداد للانضمام إلى الأسطول العثماني، كما طلب إليه إخباره بما يعلمه عن تحركات الأعداء بأقصى سرعة ممكنة، كما وجه رسالة أيضاً إلى جعفر باشا بكلربكي طرابلس الغرب يطلب منه مساعدة الأسطول العثماني الذي أبحر لمواجهة الأسطول الإسباني وضرورة العمل على حماية تونس وما يجاورها من غارات العدو[4].

وتلبية لذلك النداء خرج قلج علي من الجزائر على رأس خمسين سفينة للالتحاق بالأسطول العثماني الذي اصطدم مع الأسطول المسيحي في مضيق ليبانتو[5] بالقرب من رأس الدم عام979هـ/ 1571م ،حيث استمر القتال لثلاث ساعات متواصلة، نتج عنه انتصار الحلفاء واحتلال تونس وتخريب الأسطول العثماني وهزيمته بسبب عدم تمكنه من إعداد قواته البحرية بشكل جيد لمواجهة المؤامرة المدبرة ضده من قبل الدول المسيحية[6] كما قتل عشرون ألفاً من العثمانيين، لم ينج منهم سوى السفن التي كانت بقيادة قلج علي.

-نتائج المعركة:

1-شكل هذا النصر ضربة قوية للتفوق العسكري العثماني في حوض البحر المتوسط، حيث أدى لإضعاف النشاط البحري الإسلامي في غربي حوض البحر المتوسط لصالح الملاحة البحرية الأوربية وسيطرتها التامة على طرق التجارة العالمية.

2- دفع هذا الانتصار الإسبان و الايطاليين للتفكير بمشاريع مستقبلية لمهاجمة المغرب العربي و العمل على طرد العثمانيين منه، لكن الطقس السيء منع الحلفاء من استغلال هذا النصر ، وسقطت قبرص بيد العثمانيين.

3-انسحاب البندقية من الحلف المقدس عام 981هـ/1573م، وأخذت تبحث عن السبل الكفيلة باستمرار تجارتها مع الدولة العثمانية التي فرضت عليها شروط قاسية خاصةً بعد أن أصبحت البندقية تحت سيطرتها، فتدخل الفرنسيون بين الطرفين لتخفيف الشروط التي فرضها العثمانيون، وأخيراً اضطروا لقبول الشروط العثمانية[7].

-أسباب هزيمة العثمانيين في معركة ليبانتو:

Fray Diego De Haedo. *Les Rois d'Alger*(Alger، 1881)P137-138

انظر أيضاً: محمود علي عامر ، *تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر -تونس)*،ص 85.

[1] البكلربكي: وأحياناً بيلربي، مفرد جمعه بكلربكية، لفظ تركي بمعنى أمير، استخدم في العهد العثماني كلقب أطلق على رؤساء السناجق أو الألوية التي تنظم فيها الاقطاعات العسكرية. مصطفى عبد الكريم الخطيب. *معجم المصطلحات والألقاب التاريخية* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م) ص 84.

[2] عزيز سامح التر. *الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية*، ص230

[3] محمد خير فارس، *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، ص124

[4] عزيز سامح التر. *الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية*، ص230

[5] ليبانتو: تعرف عند الأتراك باسم إينختي، وهي مدينة تقع شمال المضيق الذي يمتد من البحر الأيوني إلى خليج كورنيت، والذي أصبح منذ العصور الوسطى يعرف بخليج ليبانت، إلا أنها وقعت بيد البنادقة خلال القرن 13 م، حيث حاول السلطان العثماني محمد =الفاتح افتكاكها منهم في عام 1477 م أثناء حربه معهم لكنه لم يفلح، إلا أن السلطان بايزيد الثاني تمكن عام 1499م من فتحها، وأنشأ قلعتين لحماية مدخل الخليج.

رحيمة بيشي. *العلاقات السياسية التونسية الإسبانية*، ص135

[6] محمود علي عامر. *تاريخ المغرب العربي الحديث(الجزائر-تونس)*، ص 60.

[7]عقيل لطف الله نمير. *تاريخ الجزائر الحديث*، ص 91-92 -93.

1-عدم أخذ الأسطول العثماني بنصيحة قلج علي الذي كان يعلم بوساطة جواسيسه أعداد القوات المتحالفة، لذا كان يفضل خروج سفن المسلمين إلى عرض البحر حتى لا تبقى محصورة في مكان ضيق يسهل على السفن المعادية استهدافها بالقذائف فتم إحراق العديد منها.

2-تفوق الجنود المسيحين على الجنود العثمانيين في التسليح إذ كان الجنود المسيحين مسلحين بأسلحة نارية ودروع تحميهم من ضربات السيوف وسهام المقاتلين المسلمين، بينما كان الجنود العثمانيين مسلحين بالرماح والسهام.

3-تخلي العثمانيين عن مشروع استرجاع الأندلس من يد الإسبان، مما كان له أثر في فقدان العثمانيين لعدد كبير من خبرائهم البحريين فصعب عليهم تعويض ذلك فيما بعد، وظهر ذلك جلياً على البحرية العثمانية[1].

عاد قلج علي إلى الجزائر بعد عدة شهور من معركة ليبانتو التي كان له دوراً بارزاً فيها، وتقديراً لجهوده عينه السلطان سيلم الثاني قائداً للأسطول العثماني مع احتفاظه بلقب بيلربي الجزائر الذي يحق له بموجبه تعيين خليفة له فعين لخلافته عرب أحمد باشا[2].

4-تحرير حلق الوادي وتونس وضمهما إلى الدولة العثمانية عام 1574م:

لم يكن باستطاعة الدولة العثمانية أن تسكت عن هزيمتها في ليبانتو ، فكلفت قلج علي الذي أصبح قائداً للأسطول العثماني بإعادة بناء الأسطول العثماني وتجهيزه بشكل أفضل مما كان عليه في ليبانتو، وقد لفتت جهود قلج علي ونشاطه البحري أنظار السفراء الأجانب الذين أدركوا خطورة تقوية الأسطول ، لذلك حاول البابا كسب قلج علي لجانبه حيث عرض عليه تسلم مناصب كبيرة في إسبانيا وصقلية ، لكن ذلك لم يزد قلج علي إلا تصميماً على إكمال ما بدأ به[3]، وفي عام 982هـ/1574م توجهت قوات عثمانية من الجزائر وطرابلس والقيروان وانضمت إليها قوات أخرى بقيادة بقيادة سنان باشا القائد العام للقوات البحرية إلى حلق الوادي فتمكنوا من دخولها واحتلال قاعدة الإسبان[4]، ثم تابع سنان باشا زحفه للسيطرة على تونس من جديد، التي لم تصمد لأكثر من ستة أيام نتيجة الحصار الشديد الذي فرض عليها[5]، و يصف ابن الدينار ذلك: "و أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم و ناوشوها بالقتال من كل جهاتها" [6]، تلا تلا ذلك إخضاع كامل الأقاليم التونسية معلناً نهاية الحكم الحفصي عام982هـ/ 1574م ، كما نقل آخر سلاطينها إلى إستانبول، وبذلك أصبح القطر التونسي بعد 982هـ/1574م ولاية عثمانية ينظم شؤونها سنان باشا المكلف عليها من قبل السلطان العثماني[7].

أثار استرجاع تونس موجة كبيرة من الفرح عمت أنحاء العالم الإسلامي، أما بالنسبة لأوروبا فقد أحدث سقوط تونس دوياً هائلاً في الأوساط الأوروبية إذ كان من المتوقع رد فعل إسباني قوي، إلا أن فيليب كان يعاني من ضائقة مالية ومن مشاكل ثورته في إيطاليا والبلاد المنخفضة بالإضافة لمشاكل سياسية مع فرنسا وانكلترا، إضافة إلى ذلك فإن

---

[1] **عبد القادر فكاير. *دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو*، ص420**

[2] **محمد مبارك الهلالي الميلي. *تاريخ الجزائر القديم والحديث*، 3أجزاء(الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت، ج3) ص 106.**

[3] **محمد خير فارس. *تاريخ الجزائر الحديث*، 50-51**

[4] **ابن أبي دينار. *المؤنس في أخبار افريقيا وتونس*، ص176-177. عقيل لطف الله نمير. *تاريخ الجزائر الحديث*، ص95.**

[5] **عزيز سامح التر. *الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية*، ص254**

[6] **ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص177**

[7] **رحيمة بيشي. *العلاقات السياسية الاسبانية التونسية*، ص156**

أنظاره كانت متجهة نحو عرش فرنسا وبريطانيا[1]، و لكن ضم البرتغال و إمبراطوريتها الواسعة عام988هـ/ 1580 م إثر هزيمتها على يد القوات المغربية ومقتل ملكها في معركة وادي المخازن كان قد عوضه عن خسارته تونس [2].

خاتمة:

لقد أدى ضعف الدولة الحفصية نتيجة الصراع بين أمرائها على العرش، واستنجاد بعضهم بالإسبان، والبعض الآخر بالعثمانيين الذين قدموا إلى تونس كرد فعل على التدخل الإسباني فيها، خاصة بعد معاهدة الحماية التي فرضها الامبراطور شارلكان على الحفصيين الذين أثبتوا بأنهم غير قادرين على الدفاع عن البلاد ، مما أدى إلى دخول البلاد في صراع إسباني عثماني نتج عنه اتساع رقعة الدولة العثمانية في الشمال الإفريقي، وذلك بعد ضمها تونس عام 982هـ/ 1574م في إطار مشروعها الهادف إلى توحيد الشمال الإفريقي تحت سلطة الدولة العثمانية، الأمر الذي أدى بدوره إلى زعزعة مكانة الإسبان في المواقع التي كان يحتلونها على سواحل الشمال الأفريقي، فبدأوا بالانسحاب منها الواحدة تلو الأخرى خاصةً بعد أن أدركوا أن وجودهم بات مستحيلاً في ظل تواجد العثمانيين فيها، كما شكلت خسارة شارلكان لتونس عام982هـ/ 1574م ضربة خطيرة للنفوذ الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، إذ كانت هذه الحملة آخر مشروع إسباني كبير لاحتلال تونس التي أصبحت في نظر الأوروبيين دولة قوية مرهوبة الجانب ومن الصعب التغلب عليها.

الاستنتاجات والتوصيات:

من خلال هذه الدراسة الموجزة للبحث يمكن الخروج ببعض التوصيات التي لا غنى عنها تتمثل في:

1–يجب التركيز على دراسة تاريخ الدولتين الإسبانية والتونسية، وفهم طبيعة العلاقات بينهما خلال هذه الفترة.

2–دراسة العلاقات العثمانية التونسية في هذه المرحلة المهمة من تاريخ تونس التي تمثلت بضعف الدولة الحفصية، وإلحاق تونس بممتلكات الدولة العثمانية، ومعرفة مدى تأثير ذلك على المجتمع التونسي وحضارته.

[1] **محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، ص 126.**

[2] **عقيل لطف الله نمير، *تاريخ الجزائر الحديث*، ص95–96**

المصادر:

- جاويش، سليمان بن خليل بن بطرس. *التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية*. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م: 184
- ابن أبي الدينار، أبي عبد الله الشيخ بن أبي القاسم القيرواني. *المؤنس في أخبار افريقيا وتونس*. تونس: مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1268م:204
- الصميدعي زياد حمد، الكيلاني جمال الدين فالح. *تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث*. فاس: المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، 2013م:151
- (ابن القاضي) أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (1025هـ). *درة الحجال في أسماء الرجال*. القاهرة: مكتبة التراث، د.ت:560
- مؤلف مجهول. *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة و المدينة و مصر و بلاد المغرب)*. نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء: دار النشر العربية:252

المراجع:

- الأرقش دلندة، الأرقش عبد الحميد بن طاهر جمال. *المغرب العربي الحديث من خلال مصادره*. مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، 2003م:474
- إتوري، روسي. *ليبيا منذ الفتح العربي إلى سنة 1911م*. تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية، ط2،1991م:579
- اسماعيل، حلمي محروس. *تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى*. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،1997م.
- التر، عزيز سامح. *الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية*. تر: محمود علي عامر، بيروت: دار النهضة المصرية، ط1، 1989م: 710
- برجاوي، سعيد أحمد. الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع ،1993م.
- البعلبكي، منير. معجم *أعلام المورد*. بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1992: 544
- التازي، عبد الهادي. *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*. المجلد السابع (عهد بني مرين والوطاسيين)، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، 1988م: 326
- جودت أحمد باشا. *تاريخ جودت*. 12جزء، إستانبول،1317هـ، ج8.
- حسون علي. *تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية*. المكتب الإسلامي، ط3، 1994م.
- الحموي، ياقوت. معجم *البلدان*. 5أجزاء، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت، ج5: 461
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم. معجم *المصطلحات والألقاب التاريخية*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م: 428
- الشلق، أحمد زكريا. *العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516-1916م*. مصر: العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2002م:316

– الطرابلسي، الطاهر أحمد الزاوي. *معجم البلدان الليبية*. طرابلس: مكتبة النور، ط1، 1968م:288

–عامر، محمود علي:1–*تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر –تونس)*. منشورات جامعة دمشق، 2008–2009م:255

2–*تاريخ المغرب العربي الحديث (ليبيا)*. دمشق: مطبعة الاتحاد، 1986–1987م: 194

–العروسي، محمد المطوي:1–السلطنة *الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي*. بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت.

2–*الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م.

–العسلي، بسام. *خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470–1547م)*. بيروت: دار النفائس، د.ت.

– العقاد، صلاح. *المغرب العربي في بداية العصور الحديث*. ط2، معهد الدراسات العربية العالمية، 1962–1963م:

–عيد عاطف حداد، حليم ميشال. *قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم (تونس – الجزائر)* . القسم الاول Edito Greps , INT.1998–1999:224

– فارس، محمد خير: 1–*تاريخ الجزائر الحديث (الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)*. د.م ، د. ت.

2–*تاريخ المغرب الحديث والمعاصر. منشورات جامعة دمشق*، 1981–1982م: 429

– فيشر، هربرت. *أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية*. تر: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر: دار المعارف، ط3، د.ت:449

–الفيلالي، عبد الكريم. *التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير*. 13 جزء، القاهرة: شركة تاش للطباعة، ط1، 2006م، ج3: 415

–المحامي، محمد فريد بك. *تاريخ الدولة العثمانية*. تح: إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط1 :415

–المدني، أحمد توفيق. *حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر واسبانيا 1492–1792*.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت:533

–الميلي، محمد مبارك الهلالي. *تاريخ الجزائر القديم والحديث*. 3أجزاء، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت، ج3: 333

–نمير، عقيل لطف الله. *تاريخ الجزائر الحديث*. جامعة دمشق، 2013–2014م: 368

– وولف، جون ب. *الجزائر وأوروبا*. تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1996م

– يحيى، جلال. *تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة*. دار المعارف،1982م

المجلات:

– التميمي عبد الجليل، شاشية حسام الدين. "رسائل حفصية جديدة بأرشيف سيمانكس العام (1535–1536م)". *المجلة التاريخية المغربية*، تونس: *منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات*، العدد 157.(شباط 2015م):423–455

–علاوي نسيبة عبد العزيز الحاج، ورابحة محمد خضير." البحار العثماني محيي بيري ريس حياته وجهاده البحري (1465–1554م)". *مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل*. مج /16/، العدد الرابع.(2009م):75–91

- فكاير،عبد القادر." دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م". *مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ*، الجزائر: المركز الجامعي خميس مليانة، العدد 09. (ديسمبر 2014م):415-422

الرسائل:

- بيشي، رحيمة. *العلاقات السياسية التونسية الاسبانية أواخر الدولة الحفصية 898هـ-982هـ/1494-1574م*. رسالة ماجستير، الجزائر: معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011-2012م:269

- بن خروف، عمار. *العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517-1659م)*. رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1983م:429

- الشافعي، درويش. *علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي*. رسالة ماجستير، الجزائر: معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،2010-2011م:172

-كليل، صالح. *سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط*. رسالة ماجستير، الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006-2007م:244

-المراجع الأجنبية:

-De Haedo, .Fray Diego. *Les Rois d'Alger*. Alger، 1881:222

-- Rang Sander, et Denis Ferdinand. *Fondation de la Régence d'Alger, Historie des Barberousse* ,TomeII,Paris 1837 : 424